الديمقراطية التواصلية وبناء الدولة المعاصرة في فكر هابرماس

Communicative Democracy and Contemporary State Building in Habermas's Thought

زينب بومهدي أستاذة محاضرة قسم "ب"

جامعة مولود معمري تيزي وزو

البريد الالكتروني Email: zboumehdi88@gmail.com

بركاهم خليف طالبة دكتوراه تخصص فلسفة عامة مخبر–مجتمع– تربية–عمل

جامعة مولود معمري تيزي وزو

البريد الالكتروني Email: khelifbarkahoum12@gmail.com

ملخص:

جاء الاهتمام بعملية بناء الدولة في الفكر السياسي المعاصر واضح المعالم مع مدرسة فرانكفورت وهابرماس تحديدا من خلال عملية نقد الدولة الرأسمالية وإديولوجياتها التي قامت عليها والتي ستكون المنطلق لنظريته الجديدة في بناء الدولة تلك النظرية التي لا تخرج عن إطار مشروعه الفلسفي التواصلي القائم على نظرة جديدة في كيفية التواصل بين الفرد والمجتمع والنظام السياسي، لتأتي مناقشته لمشكلة شرعية السلطة السياسية كحجر زاوية في عملية البناء للدولة، وتروم هذه المداخلة الإجابة عن التساؤل التالي: كيف تتأسس دولة القانون الديمقراطية عند هابرماس؟ وإلى أي مدى يمكن للحوار القائم بين الدولة والمجتمع في الفضاء العمومي أن يؤسس دولة ديمقراطية؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات اقترحنا العناصر البحثية التالية:

1- في ضبط المفاهيم القاعدية (الديمقراطية، الفضاء العمومي، الحداثة) 2- هابرماس ونقد الحداثة 3- الفضاء العمومي والديمقراطية التشاركية .

الكلمات المفاتيح: (هابرماس، الديمقراطية، الرأي العام، الفضاء العام ، الحداثة)

Abstract

The interest in the state-building process in contemporary political thought came clearly with the Frankfurt and Habermas School specifically through the process of criticizing the capitalist state and its ideologies that were based on it and which will be the starting point for his new theory in state building that theory that does not go out of the framework of his communicative philosophical project based on a new look at how Communication between the individual and society and the political system, so that his discussion of the problem of the legitimacy of political power comes as a cornerstone in the process of building the state, and this intervention aims to answer the following question: How is the democratic state of law established by Habermas? And to what extent can the dialogue between the state and society in the public space establish a democratic state? To answer these questions, we suggested the following research elements: 1- Regulating basic concepts (democracy, public space, modernity) 2- Habermas and critique of modernity 3- Public space and participatory democracy.

Key words: (Habermas, democracy, public opinion, public space, modernity)

Résumé :

L'intérêt pour le processus de construction de l'État dans la pensée politique contemporaine est clairement apparu avec l'École de Francfort et Habermas en particulier à travers le processus de critique de l'État capitaliste et de ses idéologies sur lesquelles il était basé, ce qui sera le point de départ de sa nouvelle

théorie de la construction de l'État cette théorie qui ne s'écarte pas du cadre de son projet philosophique de communication basé sur un nouveau regard sur la façon dont La communication entre l'individu et la société et le système politique, afin que sa réflexion sur le problème de la légitimité du pouvoir politique vienne comme pierre angulaire du processus de construction de l'État, et cette intervention vise à répondre à la question suivante: Comment l'état de démocratie est-il établi par Habermas? Et dans quelle mesure le dialogue entre l'État et la société dans l'espace public peut-il établir un État démocratique ? Pour répondre à ces questions, nous avons proposé les éléments de recherche suivants : 1- Réguler les concepts de base (démocratie, espace public, modernité) 2- Habermas et critique de la modernité 3- Espace public et démocratie participative

Mots-Clés : Habermas, démocratie, opinion publique, espace public, modernité

مقدمة:

يعد موضوع بناء الدولة من أهم المواضيع التي تشكل الفكر السياسي المعاصر ويعد يورغن هابرماس صاحب مشروع فكري وفلسفي ونقدي سطر من خلاله برنامجا قائما على أخلاقيات الحوار والتواصل ليطبقه في الأخير على مجال السياسة وهذا بالانتقال من التنظير الفلسفي إلى التطبيق السياسي، وعليه جاء ارتباط هذا البرنامج بالمفاهيم السياسية الكبرى المتعلقة بالديمقراطية والدولة والقانون، كل المفاهيم الداخلة في بناء الدولة المعاصرة، انطلاقا من هنا نجد الإشكالية التالية تفرض نفسها علينا: ما الذي يقصده هابرماس بالديمقراطية التشاركية؟ وهل يمكن اعتبارها البديل الأمثل لليبرالية السياسية؟ ما الدور الذي يمكن للفضاء العمومي أن يلعبه في هذه الدولة المبنية على هذه الديمقراطية؟

2. في ضبط المفاهيم القاعدية:

1.3 مفهوم الديمقراطية:

الديمقراطية كلمة يونانية **Démocratos** مؤلفة من لفظين يونانيين **Démo** والتي تعني الشعب، وكلمة السيادة cratos، ومعنى الديمقراطية إذا سيادة الشعب، وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة للجميع المواطنين لا للفرد، أو لطبقة واحدة منهم، ولهذا النظام ثلاثة أركان منهم.

الأول: سيادة الشعب

الثاني: المساواة والعدل.

الثالث: الحرية الفردية والكرامة الإنسانية.

وهذه الأركان الثلاثة متكاملة، فلا مساواة بلا حرية، ولا حرية بلا مساواة، ولا سيادة للشعب إلا إذا كان أفراد أحراراً (**جميل صليبا، 1982، ص ص 569، 570**) .

تعتبر الديمقراطية من أهم الموضوعات التي شغلت المفكرين ورجال السياسة عامة، والفلاسفة خاصة، ونجد من بين هؤلاء الفلاسفة هابرماس حيث ربطها بالفعل التواصلي وذلك من خلال المشاركة والتشاور الجماعي، ربط هابرماس في كتابة نظرية الفعل التواصلي "الديمقراطية" بنظرية المناقشة والحوار التي لا تنفصل في حد ذاتها عن التواصل أو الفعل التواصلي، و يتفق المتحاورون على التنسيق بين برامج عملهم وذلك من خلال التفاعلات التي تتم بينهم والتي يؤكدها التواصل (**أبو النور حمدي، أبو النور حسن، 2012، ص 189**).

لا توفر الدولة الدستورية الديمقراطية الحرية السلبية فقط من أجل رفاهية مواطنيها، بل تجندهم عن طريق حرية التواصل للمشاركة في المناقشات العامة حول المواضيع التي تهتم بالكل وغياب الحبل الرابط هو سيرورة الديمقراطية، يمكن فيه في آخر المطاف الفهم الصحيح للدستور"(**يورغن هابرماس و جوزيف راستنغر، 2013، ص،ص 50، 51**).

من هنا يرى هابرماس أن الديمقراطية ساهمت في مختلف الأنظمة السياسية، ومن هنا يهدف من خلال الديمقراطية إلى بناء مجتمع متماسك مبني على المشاركة والحوار والنقاش يسمح لكافة المواطنين بإعطاء أرائهم دون أي ضغط.

2–2 مفهوم الحداثة عند هابرماس:

يجب أن نميز بين كلمة حديث **modern** وهي تقابل كلمة قديم لغة، وبين مفهوم الحداثة **modernity** الذي يعطي اليوم دلالة معرفية أكثر من كونها زمنية (**الحمادي، 2011، ص 83**). كما أرجع لالاند كلمة **modern** إلى القرن العاشر في المسجلات الفلسفية أو الدينية، كما ربطه بتاريخ سقوط القسطنطينية سنة 1453 م وذلك مع بداية القرن السادس عشر والقرن الذي يليه، وهو ما ارتبط بفلسفة بيكون وديكارت (**أندري لالاند، 2009، ص 83**).

ومن هنا نجد ظهور نسق فكري حديث مغاير" وبقدر ما يختلف هذا العالم الجديد الحديث عن العالم القديم بانفتاحه على المستقبل، يحدث من جديد بدء عصر تاريخي يستمر في كل لحظة من لحظات الحاضر الجديد، ولهذا فان الوعي التاريخي للحداثة، يتضمن تحديد بين الأزمنة الجديدة والزمن الراهن .... إنه حاضر يفهم بوصفه الزمن الراهن انطلاقا من أفق الأزمنة الجديدة والماضي"(**يورغن هابرماس، 1995، ص 15**).

فالحداثة تشير إلى مفهوم انتقالي مستمر، أي الاتصال الحديث بالقديم في فترات زمنية تاريخية، وبالتالي هابرماس اعتبر الحداثة لحظة ظهور فكرة جديدة تختلف عن السابق فالحداثة عنده مشروع متكرر "فإذا ما أعدنا وضعها في تاريخ المفاهيم، فإننا نضع أصبعنا على المسألة التي يطرحها الوعي التاريخي الحديث، كما يمثل نفسه عبر مفهوم مفارق للأزمنة الحديثة، وبوصفه خاص بالثقافة الغربية ليس بإمكان الحداثة ولا برغبتها استعارة المعايير التي تسترشد بها من عصر أخر، أنها ملزمة باستخراج معياريتها من ذاتها، لا يمكن للحداثة أن تعتمد على غير ذاتها مما يشرح عصبيتها عندما يتصل الأمر بفكرتها عن ذاتها ... الأمر

الذي لم تنفك من متابعته حتى يومنا هذا"(**يورغن هابرماس، 1995، ص، ص 15، 16**).

يرى هابرماس أن الحداثة قد ظهرت مع كانط لكنها لم تتحقق إلا مع هيجل، وعليه فالحداثة عند هابر ماس هي تذوق جمالي جديد بما أنها لحظة انتقال والتواصل بين الحديث والقديم " إنه خبير تذوق اللحظة العابرة من حيث ينبثق الجديد، إنه يبحث عن هذا الشيء الذي يجيزون تسميته بالحداثة إذا لا يوجد لدينا كلمة أفصل للتعبير عن فكرة موضوع البحث (**يورغن هابرماس، 1995، ص 20**).

وعليه نقول إن فلسفة هابرماس لا تخرج عن إطار العقلانية النقدية والتي يمكن أن نطلق عليها أنها عقلانية تحررية، إذ جمعت بين نزعة الفيلسوف من جهة ونزعة عالم الاجتماع من جهة أخرى وهذا الجمع كان نتيجة استثمار البعد الفلسفي الذي تحتويه العلوم الاجتماعية وكذا قراءة نتائج هذه العلوم قراءة فلسفية نقدية.

2–3 مفهوم الفضاء العمومي:

الفضاء العمومي هو من اختراع الفيلسوف الألماني كانط مفتتح الممارسة الديمقراطية في نظر هابرماس الذي عم استخدامه بين المجتمع المدني والدولة، أي بين دائرة المصالح الخاصة المتعددة المتنوعة والمتناقصة والسلطة الموحدة والمجردة فهو فضاء مفتوح الذي يجتمع فيه الأفراد لصوغ رأي عام (**مصدق، 2005، ص 07**) .

وعليه يمكن القول أن مفهوم الفضاء العمومي من المفاهيم الأساسية التي أخذت اهتماما بالغا في الفكر السياسي منذ أن أنجز نظرية الفعل التواصلي "فالأنظمة السياسية

تتغذى من تطلب القانون الشرعية، فالقانون لا يتطلب فقط قبولا، ولا يتطلب من يتوجه إليهم اعتراف واقعيا فقط، بل يتطلب أن يستحق الاعتراف به "(**يورغن هابرماس، 2002، ص 209**) .

يعتبر مفهوم الفضاء العمومي من المفاهيم الأساسية في معتقد هابرماس هو مفتاح الديمقراطية، ويشهد كل القيم المدنية، الفضاء العام "هو الخير العام الذي يمثل المصلحة العامة والمشتركة للمواطنين فإنه يجمع ما بين العقلنة السياسية والمشروعية الديمقراطية"(**حسن مصدق، 2005، ص7**). فالديمقراطية المرتبطة بنشاط التواصل تحقق المصالح العامة وذلك الحوار، فالفضاء العام فضاء النقاش والحوار بين المواطنين والسلطة لحل الأزمات والخروج من المشاكل، ولا يكون إلا في ظل الديمقراطية.

2.2 هابرماس ونقد الحداثة :

يورغن هابرماس هو بمثابة ممثل الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية والتي آلت على نفسها الخوض في نقد العقل الغربي التنويري مع ماكس هوركهايمر وكذا تيودور أدورنو إذ جاءت فلسفتها تعبيرا عن تلك الانتكاسة التي أصابت التنوير والحداثة الغربية، وهذا في توظيفها للعقل كأداة لخدمة المنظومة الإنتاجية الصناعية في المجتمعات الرأسمالية، وهذا ما أفرز مجموعة نتائج تمثلت في اغتراب واستلاب للعقل إذ أصبح عبارة عن عقل أداتي قاسي أفقد الإنسان الأوروبي كل مقوماته الإنسانية وهذا ما عبر عنه أعضاء هذه المدرسة، إذ رأوا أن اختفاء الفرد وكذا القيم الثقافية والروحية وأكثر من ذلك ثم اختفاء العقل النقدي الذي يضع كل تجاوز، وهذا ما عبر عنه ماركيوز بإنسان ذو البعد الواحد المرتبط بالاستهلاك وفقط فالترشيد وبدلا من أن يؤدي إلى الحرية والعدالة والسعادة في المجتمع الأوروبي أفضى

نتيجتين متناقضتين هما تحرير الإنسان من أسر الضرورة المادية وتسلعه وكذا تشيئه في الوقت نفسه، فالعقل هو أداة الترشيد قد تحول إلى قوة غير عقلانية تسيطر على كل من الطبيعة والإنسان (**عبد الوهاب المسيري، 2002، ص32**).

وهنا يظهر لنا جليا مدى اتفاقه مع الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت وهذا في مسألة نقدهم للعقل الأوروبي الذي أصبح بمثابة عقل أداتي وكذا نقده ونقدهم أيضا للفلسفة الوضعية والتي انحرفت عن مسارها وأصبحت عبارة عن تبرير ايديولوجي للعقلانية الرأسمالية، وهذه الفلسفة في نظرهم هي المسؤولة عن أزمة الحداثة.

إذن رأى مفكروا ما بعد الحداثة أن محاولة استرجاع الإنسان وذاته المفقودة أمرا بات محتوما، وهذا لا يكون إلاّ خارج القيم السائدة، هذه القيم التي لا تخرج عن إطار قيم الاستهلاك والإنتاج وبهذا فإمكانية استعادة الإنسان المفقود تقوم على أساس محاربة اقتصاد الربح وإقامة مكانه اقتصاد الخسارة والاستهلاك واستنفاذ الطاقة بدل استهلاك البضاعة، وهذا ما دعا إليه جورج باتاي **G.Bataille** في ممارسة التجربة الباطنية، لأن محاربة الربح بالخسارة والاستهلاك بالنفاذ هي التي ستفضي بنا إلى اكتشاف الإنسان في تجربته الباطنية بمعنى استنفاذ المخزون الغريزي عند الإنسان وكذا تصريف كل الطاقات المشحونة في الجسد وهذا عن طريق ممارسة الشعر والموسيقى والفن عموما (**يورغن هابرماس، 1995، ص ص 162، 163**).

لقد نقد هابرماس الحداثة ويعتبرها مشروع لم يكتمل أو لم ينجز بعد، ويعتبر بأنها تعالج المشاكل التي لم يتم التطرق لها، ويصف هابرماس المشروع الحديث بأنه غير مكتمل لأن المشكلات التي يتناولها لم تحل بعد، إذ يعتقد أنه من غير المجدي تعطيل أو عكس اتجاه

عملية التحديث الجارية ولأنه يعتقد أيضا أن البدائل المطروحة للحداثة والتحديث أسوء **(جيمس جوردن فينلسون، 2015، ص ص 78، 79)** .

"الحداثة مشروع لم ينجز هكذا كان عنوان المحاضرة التي قدمتها في أيلول 1980 بمناسبة استلامه لجائزة أدورنو، هذا الموضوع المثير للجدل المتعدد الأوجه ما إنفك يلاحقني منذ ذلك الحين" **(يورغن هابرماس، 1995، ص5)** ، فيعتقد بأن البدائل المطروحة عن الحداثة أمر مؤثر أسوء من خيارات الحداثة. وأن أسس الحداثة قد نخرتها الأزمات وبذلك يتوجب علينا تبيانها حسب هابرماس وهي:

أولا: أزمة التمركز حول الذات فالحقيقة تصبح خاصة بالذات وتلقي الآخر، وهي حقيقة تقوم على التظليل ولذلك يرى هابرماس أن الحداثة اتجهت نحو الذاتية وأهملت الجماعة، ولهذا أراد هابرماس الانتقال من الذات الفردية نحو العقل التواصلي **(علي عبود المحمداوي، 2011، ص103)** .

ثانيا: أزمة العقلانية ويرى هابرماس أن الرؤيا العقلانية وما يلزم عنها من مصلحة بين الذات والعالم الخارجي وأنها تحولت إلى أكبر أضلولة نخرت فكر البشر **(يورغن هابرماس، 1995، ص31)** .

ثالثا: مبدأ العلموية والذي يعني أن الحقيقة لا تكمل إلا في العلم، وهذا ما ينتقده هابرماس حيث يقول:"أما العلموية كما أفهمها أنا، فهي إيمان العلم بنفسه، أي القناعة بأنه لم يعد باستطاعتنا اعتبار العم والمعرفة بوصفها الشيء نفسه...إذ تنعت العلماوية تلك المحاولة لتبرير حصر المعرفة بالعلم "**(يورغن هابرماس، 1995، ص31)**، حيث أن العلمانية

نزعة استطاعت الهيمنة على المعرفة والعلماوية تسيطر على كل شيء، .... العلماوية أصبحت السياسة خاضعة للتقنية من أجل السيطرة على حرية الإنسان وجعلها في خدمة السياسة فقط.

نقد هابرماس الحداثة وذلك من خلال الدول التي تقوم بالتكنولوجيا على الإنسان حيث يقول: "إن إعادة البناء في السياق الذي يهمنا أنتفكك النظرية وأن نعيد تكوينها في شكل جديد من أجل التمكن من بلوغ الهدف الذي رسمته إنها الصورة العادية (أعني العادية بالنسبة للماركسين كذلك) لمعالجة نظرية يجب أن تكون محل مراجعات حول عدة نقاط كما أن طاقها التحفيزية لم تستفيد بعد"(**يورغن هابرماس، 2004، ص21**) .

فقد لاحظ هابرماس أن أهم ما يميز الخطاب الفلسفي للحداثة هو أن هناك مؤاخذة ثانية تظهر عند كل الفلاسفة الذين اقتربوا أو تطرقوا إلى المسألة من هيجل مرورا بماركس ونيتشه إلى هايدجر و وفوكو وديريدا، وهي تمثل في اتهام موجه ضد عقل يتأسس على مبدأ الذاتية وهو "أن العقل لا يدين الأشكال الظاهرة للاستغلال إلا لكي تحل محلها السيطرة الثانية للعقلانية نفسها(**حمدي، 2012، ص83**) .

ان نقد هابرماس للحداثة لا يعني اطلاقا ادانته للتقنية بشكل مطلق لأنها هي صورة من صور العقلنة والابداع الانساني على مر العصور، لكن هذه التقنية تحولت الى أداة لاستلاب الانسان في الكثير من الاحيان وهذا ما يعارضه هابرماس من خلال تقديمه لنظرية مقترحة للمجتمع تكون أرضيتها الأساسية التي تنطلق منها هي الأخلاق التواصلية حتى يتم الحد من تدخل العقل الأداتي بشكل كبير في شؤون التفاعل البشري، وعليه فإن "الفصل بين العلم والأخلاق والفن، وهو ما تتصف به حسب ماكس فيبر عقلانية الثقافة الغربية

يعني في أن معا استقلالية قطاعات متخصصة وانشقاقها في علم تأويل الحياة اليومية، هذا الاشتقاق هو المشكلة التي تنتج عن القانونية الخاصة لحقوق القيم المتميزة هو انشقاق ولد المحاولات الفاشلة التي سعت إلى إبطال ثقافات المتخصصين"(**هابرماس، 2002، ص24**) .من خلال هذا يرى **هابرماس** أن الثقافة الغربية تمت بالفصل بين تقدم العلم والأخلاق، وأصبح لا قيمة للفن محتكرا على الفنان فقط أي الفن من اجل الفن وفقدان الاهتمام.

يريد هابرماس البحث عن حل عقلاني للتقنية التي أطبقت على العالم المعيشي واستفردت به من الجامعات، فهو يقر بأننا نعيش عصر الرأسمالية المتقدمة القائمة على التقنية، بل إن شرعيتها أصبحت مستمدة منها، فلا سبيل إذن للهروب منها إلى جداريات الماضي وأطلاله، ولا مناص أيضا من الاعتراف بأن التقنية تعمل بشكل مختلف عن الأيديولوجيات التقليدية لتبرير شرعيتها وما يميزها أنها اخترقت جميع الدول والأديان والمعتقدات والإيديولوجيات (**مصدق، 2005، ص107**) .

فالتقنية اخترقت الحريات الفردية وتقمع الإنسان في حرية ولا تخدم مصالحه وتجعله عبدا لها، حيث هابرماس أراد أن يعيد النظر في المجال الأخلاقي للمجتمع المعاصم ويعيد له تماسكه بعد أن فقد الدين سيطرته وأصبحت التقنية تتحكم فالإنسان، وأراد صياغة العقل التواصل بين أفراد المجتمع.

3 : الفضاء العمومي والديمقراطية التشاركية:

لقد اشتغل هابرماس في الفلسفة السياسة على نظرية الديمقراطية التشاركية وارتباطها وصياغتها بالفضاء العمومي، حيث لا يكتسب مفهوم السياسة التشاورية

Déliberative أهميته إمبريقية إلا إذا أقمنا وزنا لتعدد الأشكال التواصل التي بواسطتها الإدارة الجماعية ليس فقط بالتفاهم الأخلاقي حول الهوية الجماعية، وإنما أيضا وفي الوقت نفسه بتوزيع المصالح والاتفاق العقلاني، بمعنى إلغائي بواسطة اختبار الوسائل الملائمة وكذلك بالاعتماد على التبرير الأخلاقي وفحص التماسك القانوني (**الأشهب، 2006، ص89**) .

إذن جاءت نظريته السياسية لتنادي بتحرير الفكر وكذا الفعل السياسي من كل خطاب متمركز حول فلسفة الذات، وهذا من خلال النقد الذي وجهه لكل النظريات التي ربطت الفعل السياسي بالذات وكذا وعي الفرد ويدخل في هذه التصورات، التصور الليبرالي وكذا الجمهوري للديمقراطية لأنهما يختلفان في تحديد كل واحد منهما للمواطن ومفهوم الحق والمسار الذي من خلاله تتشكل الإرادة السياسية(**أفاية، 1998، ص 206**) ؛ وعليه جاءت نظرية هابرماس في بناء الدولة قائمة على ما يعرف بالديمقراطية التشاورية ويرى الدارسين لهابرماس أنه في هذه المسألة سار على نهج الفيلسوف والسياسي الأمريكي فرانك مشلمان وهذا يظهر في قوله " سأشرع على ضوء أعمال فرانك مشلمان بوصف هذين النموذجين للديمقراطية المصارعين فيما بينهما بصفة سجالية وذلك من خلال وجهات نظرهما المختلفة حول تصورهما للمواطن والحق وطريقة تصورهما لطبيعة تشكيل الإدارة السياسية".

شكل كتاب الفضاء العمومي ليورغن هابرماس بداية تشكل المشروع الفلسفي النقدي الذي جاء منشغلا بشكل كبير بقضايا العالم الراهن ومن خلاله ينظر إلى العلاقة القائمة بين التواصل والفضاء العام والتي تعود إلى ظهور وسائل الإعلام والاتصال في العالم

وهذا من خلال ما لعبته الصحافة من دور في بروز الفضاء العام بشكل واسع وتطوره غير أن الصحافة قد تحولت إلى خادمة مطيعة في يد الدولة، وعليه تعمل الدولة على توجيهها وفقا لمصالحها الاقتصادية والسياسية فتعمل بذلك على تحويل الصحافة إلى فلسفة استهلاكية، إذ تحولت إلى مجرد وسيلة دعائية وإشهار بدلا من مجال للمناقشة والسجال الفكري.

يبني هابرماس نظريته على فكرة ضرورة نجاح الحوار داخل الفضاء العمومي وهذا الذي يضمن بدوره نجاح التواصل ما يمنح إمكانية التمييز بين المجال السياسي والاقتصادي من ناحية، وكذا المجال الاجتماعي والأخلاقي من ناحية أخرى وهو الذي يمنحنا فرصة التمييز بين العقل الأداتي والعقل التواصلي لكن ما نلاحظه أن هابرماس يقلل من الدور الذي يمكن أن يلعبه الفن مقارنة مع الدور الذي تلعبه الأخلاق والسياسة والاقتصاد في مجال التواصل، وهذا داخل الفضاء العام، يقلل هابرماس من قيمة الفن ويعلي من شأن الدين والدور الذي يمكن أن يلعبه في صياغة القرارات، فالدين أهمية في النقاشات الدائرة في المجال العام ولكن هذا يتطلب شرط أن تترجم آراء المساهمين في كل النقاشات "إلى لغة مقبولة لدى جميع الفرقاء تحتكم إلى العقل"(**رحيم، 2014، ص201**) .

فالسياسة حسب هابرماس يجب أن تحدد بالمشاورات واتخاذ القرار الجماعي في التواصل على أساس قرار تشاوري الجماعي فالتشاور أساس ومركز الديمقراطية. حيث أن النظام السياسي الاجتماعي يقيم العلاقة العمة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبادئ المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة أما أساس هذه

النظرة فيعود إلى المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة (**عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، دون تاريخ، ص 751**).

فيجب على الدولة التمثل لممارسة المواطنين لحقوقهم في إطار القانون بمبدأ التشارك الجماعي في كلا الاتجاهين تكون عملية التواصل مشدودة الوثائق مثبتة إلى ما دعاه ديون الإيمان بالقيم، أي على فهم سابق محدد تاريخيا بمعايير اجتماعية للموقف لما هو ضروري مليان هذا الفهم السابق إنما هو فقط مستكشف هيرومنطيقيا، يظهر التواصل نفسه في حوار مشترك لمواطنين متعايشين في ما بينهم (**يورغن هابرماس، 2001، ص120**) .

فالفضاء العمومي له أبعاد سياسة أساسها الواقع الاجتماعي العام في الواقع المعاش وفي حياة الإنسان اليومية وحاجياتهم التي تتطلب الديمقراطية كمطلب أساسي بتأسيس البعد السياسي على ديمقراطية مشتركة اجتماعية تشاورية. إن البعد السياسي للعمومية أساسه في الواقع المعيشي، وفي واقع الحياة اليومية للأفراد وفي متطلباتهم وشروطهم التي تتطلب الديمقراطية مطلبا أساسيا في العقل السياسي، حيث أن الديمقراطية تتأسس على معطيات الفلسفة التداولية **paragmatique** فاستند لهذا المبحث يريدها المبحث يريدها هابرماس تأسيس جماعة تواصلية خالية من الإكراه والهيمنة والسلطة ويعد مفهوم التشاور **délibération** في هذه النظرية من المفاهيم المركزية لأنه يعطي للفرد حق النقد ورفع دعاوي صلاحية في إطار فضاء عمومي ديمقراطي يكون فيه الحق متكافئا بالنسبة للجميع من أجل المشاركة في تشكيل رأي عام وإرادة سياسية معبرة من المصالح العامة(**حسن الأشهب، 2006، ص75**) .

يرتبط الفضاء العام في فلسفة هابرماس بالسياسة وهو يرى أن الثورة الفرنسية كانت بمثابة المحفز لتأسيس الفضاء العام والذي تأثر بشكل كبير بالأدب والنقد الأدبي، وهذا ما عرفته ألمانيا كذلك إذ عرفت هذه الدول ما يمكن تسميته بالحياة الاجتماعية ولهذا فهبرماس يرى أن هذا النوع من الفضاءات العامة وهو الذي شكل الخلفية الأولى للتواصل العام.

يرى هابرماس أن الديمقراطية تتمثل في المصلحة العامة للجميع والدفاع عن مصالحهم الخاصة غذ لكل أفراد المجتمع له الحق في الدفاع عن المصالح العامة وذلك بالتشاور والمناقشة الأمور.فمن الميادين التي ظهرت فيها أراء هابرماس السياسية عامة والمتعلقة بالديمقراطية بصفة خاصة ميدان المجال العام، وهو ميدان يجتمع فيه المواطنين يتبادل الآراء ومناقشة ونقد القضايا بالسياسية، فهذا المجال العام لم يكن جزء من المجتمع المدني فقط بل هو وسيطا بين هذا المجتمع المدني والدولة (**أبو النور حسن، 2012، ص194**) .

يرى هابرماس أن المجال العمومي أنه أسبق على القانون وانه يجمع بين المجتمع والدولة وذلك يتبادل النقاش المزدوج الذي يسير بتنظيم العلاقات بين الأفراد وضمان حريات الممارسة بين أفراد المجتمع في مجال العام، "إن تقرير المصير ديمقراطيا لا يتحقق إلا حين يتحول شعب الدولة إلى أمة من المواطنين يتولون زمام مصائرهم السياسية. تتطلب التعبئة السياسية "للأتباع" دمجا حضاريا للسكان الذين التقوا في تلك البقعة من الأرض، كما هي من جراء المصادفة... إن تركيبة "الشعب" الرمزية هي ما صنع الدولة الحديثة الدولة القومية"(**يورغن هابرماس، 2002، ص127**) .

القانون عند هابرماس يهدف إلى إزالة كل أشكال الهيمنة وهذه فكرة برجوازية لأن الدولة الشرعية في نظره يتطلب وجودها الارتباط بنظام محكم قائم في الأساس على الرأي العام، وما هذا إلاّ تأكيد على ضرورة إلغاء الدولة باعتبارها وسيلة هيمنة لأن السلطة التشريعية والتي هي تعبيرا عن إرادة الرأي العام في كفاحها ضد السلطات لا يمكن أن تكون أداة هيمنة وهو يقول في ذلك: " وفي رأينا تبقى السلطة القضائية لا حكم لها، ويبقى الفرق بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية هو التمييز بين القاعدة والتطبيق، كما أن التشريع يجب أن يكون منبثق عل إرادة سياسية ولكن أساسه اتفاق يقدم على العقل"(**جمال خن، 2017، ص 274**) .

فمن خلال هذا الرأي نصل إلى أن مصير الأمة لا يتحقق إلا بموافقة الشعب وتقرير مصيره من خلال رأيه، فالدولة تتحقق سياستها بالتشاور بين أفراد أمتها، ولذلك يشير هابرماس بأن الفعل التواصلي هو الذي يحدد لديه العلاقات الاجتماعية داخل فضاءات عمومية قائمة على المناقشة، فالتواصل هو تفاعل بين ذاتين قادرتين على الحوار ويلتزمان بعلاقات شخصية، والتواصل يتم صياغته على أساس نظري لا ينفصل عن نظرية المناقشة القائمة على التبرير، فالتواصل والتبرير هما أساس الفعل التواصلي(أبو النور حسن، 2012، ص188) .فهابرماس يؤكد على الفعل التواصلي كأساس للحوار والنقاش والذي يقوم على حل المشاكل المجتمع داخل فضاءات العمومية، وذلك من خلال التفاعل بينهم ولذلك نجد هابرماس ربط الديمقراطية بالمناقشة.

الخاتمة:

نصل في الأخير إلى استخلاص بعض النقاط في فكر هابرماس السياسي وخصوصا ما تعلق منه ببناء الدولة، إذ استطاع هابرماس أن يؤسس مفهوم جديد للسلطة من خلال أفكاره النقدية التي قدمها كمشروع فلسفي وسياسي كما استطاع أن يبلور نظرية في تحرير القانون من نفوذ نظرية السيادة في مقابل ما دعا إليه من سلطة تواصلية قائمة على آليات الحوار والنقاش القائم في المجال أو الفضاء العمومي وهنا فقط تختفي فكرة تطبيق القانون بصيغة إكراهية أو إلزام المجتمع بمجموعة معايير وقوانين أنتجت بمعزل عن الواقع.

رغم أن هابرماس جاء نقده للفكر الليبرالي الذي أعلى من شأن الفرد على حساب الجماعة فهو قد نظر إليهما (الفرد والجماعة) كمبدأين أساسيين لا يمكن أن يشكلان ضدان لأنهما بمثابة الثنائية المشكلة للديمقراطية، وهذا ما يمكن القول عنه هو التجاوز الذي حققه هابرماس أمام كل من الفكر الليبرالي والماركسي معا.

الإحالات والمراجع:

1. أبو النور حسن، أبو النور حمدي. (2012). يورغن هابرماس، أخلاق التواصل (دون طبعة). لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.
2. الأشهب، محمد. (2006). الفلسفة والسياسة عند هابرماس، (ط.1). منشورات سلسلة النقد السياسية.
3. أفاية، محمد نور الدين. (1998). الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، (ط.2). الدار البيضاء المغرب: إفريقيا الشرق.

4. خن، جمال. (2017/2016). إشكالية الحداثة والفعل التواصلي في الفكر الغربي المعاصر، يورغن هابرماس نموذجا. أطروحة دكتوراه، جامعة وهران.

5. رحيم، فلاح. (2014) قراءة في كتاب الدين في المجال العام. مجلة الكوفة، العدد الأول

6. صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي (دون طبعة). لبنان: دار الكتاب اللبناني.

7. فينليسون، جيمس جوردن. (2015). هابرماس مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: الروبي، أحمد محمد، (دون طبعة). مؤسسة حمداوي للتعليم والثقافة.

8. الكيالي، عبد الوهاب. وآخرون (دون تاريخ). موسوعة السياسة، (دون طبعة). بيروت لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

9. لالاند، أندري. (2009). الموسوعة الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل (دون طبعة). بيروت لبنان: منشورات عويدات.

10. المحموداي، علي عبود. (2015) الاشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، (ط.1). بيروت لبنان: منشورات ضفاف.

11. المسيري، عبد الوهاب. (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (ط. 1). القاهرة مصر:دار الشروق.

12. مصدق، حسن. (2005). يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية (دون طبعة). بيروت لبنان:

13. هابرماس ، يورغن و راستنغر، جوزيف.(2013). جدلية العلمنة، العقل والدين، (ط .1). بيروت لبنان: جداول للنشر والتوزيع.

14.هابرماس، يورغن. (2002). الحداثة وخطابها السياسي، ترجمة: ثامر جورج، (دون طبعة). بيروت لبنان: دار النهار.

15.هابرماس، يورغن. (2003). العلم والتقنية كإديولوجيا، ترجمة: حسن صقر، (ط.1). كولونيا ألمانيا: منشورات الجمل.

16.هابرماس، يورغن. (2004). بعد ماركس، ترجمة: ميلاد محمد، (ط. 2). سوريا: دار الحوار للنشر.

17.هابرماس، يورغن. (1995). القول الفلسفي للحداثة (دون طبعة). سوريا: منشورات وزارة الثقافة السورية.